السيرة النبوية للفتيان

(٦)

غَزْوَة بَدْر الكُبْرَى

(ومُقَدّمَاتها)

إعـــداد

أ.د. أحمد عمر هاشم

مكتبة العبيكان

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

غزوة بدر الكبرى / لجنة التأليف والترجمة ـ مكتبة العبيكان ـ الرياض.

٤٢ ص؛ ٢٢سم. ـ (سلسلة السيرة النبوية للفتيان)

ردمك: ٨-٥٨٧-٢٠-٩٩٦٠ (مجموعة)

٧-٦٠١-٢٠-٩٩٦٠ (ج٦)

١- غزوة بدر ٢- السيرة النبوية

ديوي ٢٣٩,٤ ٢٠/٢٤٥٢

ردمك: ٨-٥٨٧-٢٠-٩٩٦٠ (مجموعة) رقم الإيداع: ٢٠/٢٤٥٢

٧-٦٠١-٢٠-٩٩٦٠ (ج٦)

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة.

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

[آل عمران : ١٢٣]

طلائع الجهاد الإسلامي

ونمضي مع سيرة المصطفَى ﷺ في مرحلة جديدة من مراحلها، وهيَ مرحلةُ الكفاح المسلَّح ضدَّ معسكر الشِّرك والكُفْر والنِّفاق، الذينَ كانُوا يصدُّونَ عنْ سبيل الله، ويقفونَ في طريق الدعوة الإسلامية.

ولقدْ ذكرنَا سابقًا بعضًا منْ أحكام الجهاد، ودوافع الحرب والقتال في الإسلام، فالحربُ لا تكونُ إلا لأهداف مشروعة في الدفاع عن الدين والعرْض والنفس والمال والوطن، ونشْر الخير للناس، بإيصال الدين إليهم صافياً كمَا نزلَ علَى محمد ﷺ.

وجعلَ الإسلامُ للحرب قوانينَ خاصةً تحكمُها، نتعرَّفُها منْ دراسة الغزوات والمعارك التي خاضَها المسلمونَ، وخصوصًا وصايَا رسول الله ﷺ للقادة. ومنهَا قولُه ﷺ:

«اغزُوا باسم الله، قاتلوا عدوَّ الله وعدوَّكم بالشام، وستجدونَ فيهَا رجالاً في الصوامع معتزلينَ فلا تتعرَّضُوا لَهُم، ولا تقتُلُوا امرأةً ولا صغيرًا ولا شيخًا فانيًا ولا تقطَعُوا شجرًا ولا تهدِمُوا بناءً..».

وفي هذه المرحلة تجلَّتْ عبقريةُ الرسول ﷺ وصحابته في المجال العسكريِّ . وقدْ بدأتْ هذه المرحلةُ بانتصار المسلمينَ في غزوة بدر الكبرَى وسبقَها سرايا وغزواتٌ صغيرةٌ لمْ يكُنْ فيهَا قتالٌ يذكَرُ .

فهيَّا بنَا نطالع صفحات السيرة النبوية في هذه المرحلة .

سرايَا وغزوات قبلَ بَدْرٍ

قُبَيلَ غزوة بدر وفي السَّنة الأولَى منَ الهجرة بدأ المسلمونَ نشاطَهُم العسكريَّ لمواجهة معسكر البَغْي والكفر بعدد منَ السرايَا والغزوات الاستطلاعية، وقد استهدفتْ إشعارَ العالم عامةً وإشعارَ أعداء الإسلام خاصةً أن المسلمينَ في قوة ومنعة، وليسُوا ضعفاءَ، حتَّى لا تحدِّث المشركينَ أنفسُهم بالاعتداء عليهم مرةً أخرَى، وكأنَّ تلكَ السرايَا كانتْ بمثابة الإنذار للمشركينَ، إنْ همْ حاولُوا الاعتداءَ على المسلمينَ، أو حاولُوا الوقوفَ والتَّصدِّي للدَّعوةِ فإنَّ عاقبتَهم ستكونُ أليمةً، ولنْ يسكتَ المسلمونَ عن حقِّهم.

ومنْ هذهِ السرايَا:

سَريَّة حمزةَ:

كانتْ سريةُ حمزةَ بن عبد المطلب ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ في شهر رمضانَ منَ السَّنة الأولى للهجرة، فقدْ أرسلَه الرسولُ ﷺ في ثلاثينَ راكبًا ليعترضُوا عيرًا لقريش فيهَا أبو جهل، فحجزَ بينَهم مجديُّ بنُ عمرو الجُهنيُّ، فأطاعوه ولم يحدث قتال.

سريَّة عبيدةَ بن الحارث:

وكانتْ في شهر شوال من السنة الأولَى، حيثُ أرسلَه النبيُّ ﷺ في ثمانينَ راكبًا ليعترضُوا عيرًا لقريش فتلاقَوا ببطن رابغ، وكانَ على العير أبو سفيانَ بنُ حرب في مائَتيْ رجل، فترامَوا بالنبال وخافَ المشركونَ أن يكونَ للمسلمينَ كمينٌ فانهزَمُوا وتفرَّقُوا ولمْ يحدُثْ قتالٌ. وفي هذه السرية أطلقَ أولُ سهم في الإسلام، وكانَ الذي أطلقه سعدُ بنُ أبي وَقَّاص رضي الله عنه.

سريّة سَعْدِ بن أبي وقاص:

وفي شهر شوال خرجَ سعدُ بنُ أبي وقاص في عشرينَ رجلاً ليعترضُوا عيرًا لقريش، ولكنَّ العيرَ كانتْ قد مرَّت قبلَ وصول السرية إليَها ولم يلقَوا أحدًا.

غزوة الأبْواء:

وتسمَّى أيضًا غزوَة «ودّان»[1]، وهيَ أولُ غزوة غزاهَا الرسولُ

(١) الأبواء وودان: مكانان متقاربان بينهما ستة أميال أو ثلاثة. . وبينهما وبين الجحيفة من جهة المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً.

ﷺ ، وكانتْ في صفَر منَ السنة الثانية ، حيثُ خرجَ الرسولُ ﷺ وبعضُ أصحابه ليعترضَ عيرًا لقريش ، واستخلفَ سعدَ بنَ عبادةَ على المدينة ، فلمَّا بلغَ (ودَّان) أو (الأبواء) وجدَ العيرَ قد مرَّتْ ، فوادعَ النبيُّ ﷺ بَني ضَمْرَةَ وحالَفَهم ، وهيَ أوَّلُ معاهدةِ عقدَها الرسولُ ﷺ معَ غيرِ يهودِ المدينة .

غزوة بُوَاط[1] :

اتَّجهَ رسولُ الله ﷺ يريدُ قريشًا في شهر ربيع الأول من السنة الثانية ، واستعملَ علَى المدينة السائبَ بن عثمانَ بن مظْعونٍ حتَّى بلغَ بُوَاطَ فلبث فيها إلى نهاية شهر ربيع الآخرِ ، ولم يحدث قتال .

غزوة العُشَيْرة :

خرجَ الرسولُ ﷺ إلى منطقة (العُشَيْرة) ببطن وادي ينبعَ ، في شهر جمادى الأولَى يريدُ تجارة قريش حينَ يمرُّونَ بهَا إلَى الشام ذهابًا وإيابًا ، ووادعَ في هذه الغزوةِ بَني مُدْلِج منْ كنانةَ ، دونَ أن يحدثَ قتالٌ .

---

(١) بوَاط : جبل من جبال جهينة بقرب ينبع .

غزوة بَدْر الأولَى:

وتسمَّى (غزوة سَفَوان)، وقد حدثَتْ أيضًا في شهر جمادَى الأولَى عندمَا قدمَ الرسولُ ﷺ إلَى المدينة من غزوة العشيرة مكثَ ليالِيَ قلائلَ، وإذا بكُرز بن جابر الفهريّ يُغيرُ علَى سرح[1] المدينة ونهبَ بعضَ المواشي، وكانتْ معهُ قواتٌ قليلةٌ من قريش، فخرجَ رسولُ الله ﷺ في سبعينَ رجلاً لمطاردته، واستعملَ علَى المدينة زيدَ ابنَ حارثةَ، وبلغَ النبيُّ ﷺ وادي (سفَوَان) ولكنْ دونَ أنْ يدركَ كُرزاً ومَن معهُ، ثمَّ رجعَ الرسولُ ﷺ إلى المدينة.

(١) سرح: مراعٍ.

غزوة بدرٍ الكبرَى

أسباب الغزوةِ:

علمَ الرسولُ ﷺ أنَّ أبَا سفيانَ بنَ حرب مقبلٌ من الشام في عيرٍ لقريش فيها تجارتُهم وأموالُهم، فدعا المسلمينَ لملاقاتهم، وقالَ: هذه عِيرُ قريشٍ، فاخرجُوا إليهَا لعلَّ اللهَ أن يُنفلكُموهَا.

واستخلف النبي ﷺ عبدَ الله بن أم مكتوم ليصلي بالناس في المدينة.

ولمْ يكنْ تَعرُّضُ المسلمينَ لعير قريش إلا جزاءَ مَا صنعَ المشركونَ بهم من قَبْلُ؛ فقدْ أخرجُوهم من ديارهم وأبنائهم في مكةَ، واستولَى المشركونَ علَى أموال المسلمينَ في مكةَ وممتلكاتهم.

ومعَ هذَا فقدْ شاءَ الله تعالَى أنْ تفلتَ العيرُ؛ لتكونَ المعركةُ والجهادُ في سبيل الله منْ أجل نشر الدعوة الإسلامية.

وكانَ البعضُ قدْ تثاقلَ عن الخروج ظنّا منهُم أنه ﷺ لا يريدُ حربًا، ولكنْ مَا إن علِموا حقيقةَ الأمر حتَّى سارعُوا بتلبيةِ النداءِ.

وأمرُهم شورى بينَهم :

خرجَ رسولُ الله ﷺ في أصحابه حتَّى بلغَ واديًا يقالُ لهُ: ذَفران فخرجَ منهُ حتَّى إذا كانَ ببعضه نزلَ، وأتاهُ الخبرُ عن قريش بمسيرِهم ليمنَعوا عيرَهم، فاستشارَ رسولُ الله ﷺ الناسَ، وأخبرَهم عنْ قريشٍ وقتالها.

فقامَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ، فقالَ، فأحسنَ القولَ، ثمَّ قامَ عمرُ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ فقالَ، فأحسنَ القولَ، ثمَّ قامَ المقدادُ بنُ عمرو فقالَ: « يا رسولَ الله امضِ لِمَا أمرَكَ اللهُ به، فنحنُ معَك، والله لا نقولُ لكَ كمَا قالتْ بنو إسرائيلَ لموسَى: ﴿اذْهَبْ أنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ﴾، ولكن اذهبْ أنتَ وربُّك فقاتلا إنَّا معكُما مقاتلونَ، فوالذي بعثَكَ بالحقِّ لو سرتَ بنَا إلَى بَرْكِ الغماد ـ يعني الحبشةَ ـ لجالَدْنَا معكَ حتَّى تبلُغَه . . ».

فقالَ رسولُ الله ﷺ خيرًا واستبشرَ ودعَا لهُ بخيرٍ، ثمَّ قالَ:

«أشيرُوا عليَّ أيها الناس».

وكان يَقصِدُ بذلكَ الأنصارَ، ففطِنَ لذلكَ سعدُ بنُ معاذٍ رضيَ اللهُ

عنهُ، فقالَ:

والله لكأنَّكَ تريدُنا يا رسولَ الله؟

فقالَ: أجل.

فقالَ سعدٌ:

- قدَ آمنَّا بكَ وصدّقناكَ، وشهدنا أنَّ ما جئتَ به هوَ الحقُّ، وأعطيناكَ على ذلكَ عهودَنا ومواثيقَنا على السمع والطاعة، فامض يا رسولَ الله لما أمرك اللهُ، فوالذي بعثَكَ بالحقِّ إن استعرضتَ بنَا هذَا البحرَ فخُضتَه لخضنَاه معَك، ما تخلَّفَ منَّا رجلٌ واحدٌ، وما نكرَهُ أن تلقَى بنا عدونَّا غدًا؛ إنَّا لصبُرٌ عند الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء، ولعلَّ اللهَ يريكَ منَّا مَا تقرُّ به عينُك، فسرْ بنَا علَى بركةِ الله.

فسُرَّ رسولُ الله ﷺ بقول سعد، ثمَّ قالَ:

- سيرُوا علَى بركة الله وأبشرُوا؛ فإنَّ اللهَ قدْ وعدَني إحدَى الطائفتينِ، واللهِ لكأنِّي الآنَ أنظرُ إلى مصارعِ القومِ.

* * *

وقد كانت استشارةُ رسول الله اختباراً لإيمانهم وقوة يقينهم وحبِّهم، ومدَى استعدادهم للجهاد في سبيل الله والتضحية والفداء منْ أجل رفع راية التوحيد.

وهكَذا كانتْ حياتُهُ ﷺ تَتَّسمُ بالشورَى في كلِّ أمر لا نصَّ فيه منْ كلام الله سبحانهُ وتعالَى، وكانَ رسولُ الله ﷺ يشاورُ أصحابَه في الأمر، وقدْ شاوَرَهم أيضًا في مكان النزول كمَا سيأتي. إنه يفعلُ ذلكَ استجابةً لأمر الله تعالَى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1].

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

نحنُ مِنْ مَاء :

أرسلَ أبو سفيانَ إلى قريشٍ يستنفرُهَا إلى عيرَها فخرجْت عنْ بكْرَةِ أبيها، ولَّما نجَا بالعير أشارَ عليهم بالرجوع قائلاً:

ـ إنَّكُم قد خرجتُم لتمنَعُوا عيركم ورجالكم وأموالكم، فقدْ نجَّاها اللهُ فارجعوا. ورأى كثيرٌ منهُم ما رآهُ أبو سفيانَ مِن الرجوعِ، ولكنَّ أبا جهلٍ أبى أنْ يرجعوا، وقالَ:

ـ والله لا نرجعُ حتَّى نَردَ بدرًا، فنقيمَ عليهَا ثلاثاً، ننحرُ الجزورَ، ونطعمُ الطعامَ، ونسقي الخمرَ، وتَعزفُ علينا القيانُ، وتسمعُ بنَا العربُ وبمسيرنا، فلا يزالونَ يهابونَنا أبدًا فامضوا.

واستجابَ القومُ لرأيِ أبِي جهلٍ ومضَوا نحوَ بدرٍ.

* * *

أمَّا رسولُ الله ﷺ فقدْ ركب بنفسه ومعَه صاحبهُ أبو بكر الصديقُ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ يستطلعان أخبارَ قريش، وفي الطريق قابَلهُما شيخٌ منَ العرب يقالُ له سفيانُ الضمريُّ . . فسأله الرسولُ ﷺ عن قريشٍ وعن محمد وأصحابه . . فقالَ:

ـ لا أخبرُكُما حتَّى تخبراني ممَّن أنتما؟

فقالَ له رسولُ الله ﷺ :

- إذا أخبرتَنا أخبرناكَ .

فقالَ الرجلُ :

- أوَذاكَ بذاكَ ؟

فقالَ الرسولُ :

- نعمْ .

فأخبرَهُما الشيخُ عنْ مكان معسكرِ قريشٍ ومكانِ معسكرِ المسلمينَ، ثم عاودَ السؤالَ مرةً أخرَى :

ممَّن أنتما؟

فقالَ رسولُ الله ﷺ :

- نحنُ من ماء .

ثمَّ انصرَفا . فقال الشيخُ متعجبًا :

- من ماء ؟! أمن ماء العراق ؟!

وكانتْ كلمةُ «من ماء» من التورية التي تحتملُ معنيين، أحدُهما قريبٌ وهوَ المكانُ المعروفُ بهذا الاسم، والآخرُ بعيدٌ وهوَ الماءُ الذي خُلق منهُ كلُّ إنسانٍ؛ وذلكَ لأنَّ الحربَ خُدعةٌ، ولذلكَ أخفَى الرسولُ

ﷺ شخصيتَه عنِ الرجلِ واستعملَ التوريةَ.

استطلاعُ أخبارِ العدوِّ:

ثمَّ بعثَ رسولُ الله ﷺ بعدَ ذلكَ عليَّ بنَ أبي طالب والزبير بنَ العوَّام وسعدَ بنَ أبي وقاصٍ في نَفَرٍ إلى ماء بدر؛ لَتَعرُّف الأخبار، فأصابوا إبلا لقُرَيْش يستسقي عليها غلامان، فأتَوْا بهما رسولَ الله ﷺ وهوَ يصلّي فلمَّا فرغَ من صلاته قالَ لهُمَا:

ـ أخبراني عنْ قريشٍ.

فقالا:

ـ همْ وراءَ هذا الكثيب الذي تَرَى بالعُدوة القُصْوَى.

فقالَ لهمَا: كَمِ القومُ؟

قالا: كثيرٌ.

فقالَ: مَا عدَّتهُم؟

قالا: لا ندري.

فقالَ الرسولُ ﷺ: كَمْ يَنْحَرُونَ كُلَّ يومٍ؟

فقالاَ: يومًا تسعًا ويومًا عشرًا.

فقالَ الرسولُ لأصحابه : « القومُ مابينَ التسعمائة والألف» .

ثمَّ سألَ الغلامين فقالَ لهمَا : فمنْ فيهم من أشراف قريش؟

فذكَرا عُتبةَ وشيبةَ ابنيْ ربيعةَ ، وأبا جهل ، وأميَّةَ بنَ خلَفٍ وسُهَيْلَ ابنَ عمرو ، وآخرينَ من صناديد قريشٍ .

فأقبلَ رسولُ الله ﷺ على أَصحابهِ قائلاً :

«هذهِ مكة قدْ ألقتْ إليكُم أفلاذَ كَبِدِها» .

الفريقان

جيشُ المسلمينَ:

كانَ تعدادُ جيشِ المسلمينَ ثلاثَمائةٍ وسبعةَ عشرَ رجلاً :

٨٦ من المهاجرينَ .

٦١ من الأوسِ .

١٧٠ من الخزرجِ .

وكانَ معهم :

فَرَسان فقطْ أحدُهما للزبير بنِ العوامِ ، والآخرُ للمقداد بن الأسودِ ، وسبعونَ بعيرًا يتعاقبُ الثلاثةُ منهمْ علَى بعيرٍ واحدٍ .

وكانَ حاملَ اللواءِ مصعبُ بنُ عميرٍ، ولونُ اللِّواءِ أبيضَ.

جيشُ المشركينَ:

وكان تعدادُ جيش المشركينَ تسعمائة وخمسينَ رجلاً.

وكانَ معهُم:

مائةُ فارسٍ.

وسبعُمائةِ بعيرٍ.

نزولُ المسلمينَ في بدرٍ:

مضَى المسلمونَ في طريقهم إلَى أنْ وصلُوا إلى عُدوة الوادي الدنيَا، وهوَ جانبُ الوادي القريب من المدينة، بعيداً عن الماء، وكانَ نزولُهم أيضًا في أرضٍ سَبخةٍ لا تَثْبُتُ عليهَا الأقدامُ.

وباتُوا ليلتَهم هناكَ، وفي الصباح احتاجُوا إلى الماء، وقدْ ظَمئُوا، وبعضُهم يريدُ الوضوءَ، والبعضُ الآخرُ يريدُ الغسلَ. وحَاولَ الشيطانُ أن يوسوسَ لهُم ويلقي الشكَّ في بعض النفوسِ قائلاً: ما ينتظرُ المشركونَ منكُم إلا أنْ يقطَعَ الظمأ رقابكُم ويُذهبَ قُواكُم. وهنَا

تجلَّتْ عنايةُ الله سبحانَه وتعالَى، حيثُ أبطلَ كيدَ الشيطان، وتدارك سبحانَه عبادَه المؤمنينَ، فأرسلَ السماءَ عليهم مدراراً، فشربُوا وارتَوى منْ كانَ ظمآنَ، وتوضَّأ المُحْدثُ، واغتسلَ الجُنُبُ، وملأوا الأسقيةَ، ولبَّد المطرُ الأرضَ، فثبتتْ عليهَا الأقدامُ. وفي الوقت نفسه كانَ هذَا المطر نقمةً علَى المشركينَ، حيثُ وحَّلَ الأرضَ تحتَ أقدامهم فمَا قَدَرُوا على الارتحال. وفي هذَا يقولُ اللهُ سبحانَه وتعالَى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾[1].

ولَمَّا نزلَ الرسولُ ﷺ هذَا المكانَ قالَ الحُبابُ بنُ المنذر:

- أرأيتَ هذَا المنزلَ، أمنزلاً أنزلكَهُ اللهُ ليسَ لنَا أن نتقدَّم أو نتأخَّرَ عنهُ أمْ هو الرأيُ والحربُ والمكيدةُ؟

فقالَ الرسولُ ﷺ:

- بلْ هوَ الرأيُ والحربُ والمكيدةُ.

---

(١) الأنفال: ١١.

فقالَ الحُبابُ :

ـ يا رسولَ الله فإنَّ هذا ليسَ بمنزلٍ فامضِ بالناس حتَّى تأتيَ أدنَى ماء منَ القوم، فننزلَه، ثمَّ نغوِّرَ ما وراءَه من الآبار، ثم نَبني عليه حوضًا فنملؤُهَا ماءً، ثم نقاتلُ القومَ فنشربُ ولا يشربُونَ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ :

ـ لقدْ أشرتَ بالرَّأي.

وأخذَ بمشورة الحُبَاب.

وأشارَ سعدُ بنُ معاذ الأوسيُّ برأي آخرَ قائلاً :

ـ يا نبيَّ الله ألا نبني لكَ عريشًا تكونُ فيه، ونُعدُّ عندك ركائبَكَ، ثم نلقَى عدوَّنا، فإنْ أعزَّنا اللهُ وأظهرَنا على عدوِّنا كانَ ذلكَ ما أحببْنَا، وإنْ كانت الأخرَى جلستَ علَى راحلتكَ فلحقتَ بمنْ وراءَنا، فقدْ تخلَّفَ عنكَ أقوامٌ ما نحنُ بأشدَّ حبًّا لكَ منهُم، ولو ظنُّوا أنكَ تلقَى حربًا ما تخلَّفُوا عنكَ، يمنعُكَ اللهُ بهم ويناصحُونَك ويجاهدونَ معَك.

فأثنَى عليه الرسولُ ﷺ خيراً، وأخذَ بمشورته وبنَى له العريشَ، ثمَّ أخذَ رسولُ الله يُطَمْئِنُ أصحابَه قائلاً:

ـ هذَا مصرعُ فلان . . ومصرع فلان (أيْ منَ المشركين). وكانَ يضعُ يدَه علَى الأرض محدِّدًا موضعَ القتلِ، فما تزحزحَ أحدُهم عنْ موضع يدِ رسولِ الله ﷺ.

وهذَا منَ المعجزاتِ التِي أيَّده اللهُ سبحانَه وتعالَى بهَا.

يومَ التقَى الجمعان

كانَ هذَا اليومُ هوَ يومَ الجُمُعة السابعَ عشرَ منْ رمضانَ في السنة الثانية منَ الهجرة وما زالَ هذَا اليومُ محفوراً في ذاكرة الزمان بذكرَى أول انتصار للإسلام علَى أهلِ البَغْي والشِّرك والضلالِ؛ إيذانًا بانبثاقِ النورِ فِي كلِّ أرجاءِ الأرضِ.

فلنقتربْ مِن هذَا اليومَ، ونشاهد عَبْرَ السطورِ وقائعَ المعركةِ.

أولُ مبارزةٍ وأولُ شهيدٍ:

في صبيحة يوم اللقاء، يوم التَقَى الجمعان صَفَّ رسولُ الله ﷺ جنودَ المسلمينَ للقتال صفوفًا منتظمةً كأنَّها البُنيانُ المرصوصُ . . ولَمَّا رأى رسولُ الله ﷺ قريشًا تنحدُر من وراء الكثيب إلى الوادي قالَ:

«اللهُمَّ هذه قريشٌ قدْ أقبلتْ بخُيلائها وفخرها تُحَادُّكَ وتُكذِّبُ رسولَكَ، اللهمَّ فَنَصْرُكَ الذي وعدتَني، اللهمَّ أحنِهُم[1] الغداةَ .

ووقفَ الفريقانِ وجهًا لوجه .

وكانَ أولَ وقود المعركة الأسودُ بنُ عبدِ الأسدِ المخزوميِّ، وكانَ رجلاً شرسًا سيِّئَ الخُلق، خرجَ قائلاً:

ـ أعاهدُ اللهَ لأشربَنَّ من حوضِهم أوْ لأهدمَنَّه، أو لأمُوتَنَّ دونَه .

وخرجَ إليه حمزةُ بنُ عبد المطَّلب ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ فضَربَه فشجَّ قدَمَه من نصْف ساقه، قبلَ أن يصلَ إلى الحوض، فوقعَ علَى ظهرِه تشخُبُ رجله دمًا نحو أصحابه، ثم حبَا إلى الحوضِ حتى اقتحم فيهِ

(١) بمعنى أهلكهم.

يريدُ أنْ تَبَرَّ يمينُه، ولكنَّ حمزة ثنَّى عليه بضربة أخرَى أتتْ عليهِ وهوَ داخلَ الحوض.

وكانَ هذَا أولَ قتل أشعلَ نارَ المعركة، فقدْ خرَجَ من بعده ثلاثةٌ من خيرة فُرسان قريش، وكانُوا من عائلة واحدة، وهم عُتبةُ وأخوه شَيْبةُ ابنا ربيعة، والوليدُ بنُ عُتبةَ، فلمَّا خرجُوا من الصفِّ طلَبُوا المبارزةَ، فخرجَ إليهم ثلاثةٌ من شباب الأنصار، عوفٌ ومعوّذٌ ابنا الحارثِ وعبدُ الله ابنُ رَوَاحَةَ.

فقالوا: من أنتم؟

قالوا: رَهْطٌ من الأنصارِ.

فقالُوا: أكْفَاءُ كِرامٌ، ما لَنَا بِكُمْ حاجةٌ، وإنما نريدُ بني عمِّنَا.

ونادَى مُناديهم:

ـ يا محمدُ أخرِجْ إلينا أكفاءَنا من قومِنا.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: قُمْ يا عبيدةُ بن الحارثِ وقمْ يا حمزةُ، وقُمْ يا عَليُّ.

فلمَّا قامُوا ودَنَوا منهُم قالُوا: مَنْ أنتُم؟ فأخبروهُم، فقالُوا:

ـ أنتُم أكفاءُ كِرامٌ.

وبارزَ عليٌّ الوليد، وبارزَ عبيدةُ عتبةَ بنَ ربيعةَ، وبارزَ حمزةُ شَيبةَ، فأمَّا حمزةُ وعليٌّ فلَمْ يُمْهلا شَيبةَ والوليدَ أنْ قتلاهُما. وأمَّا عبيدةُ فاختلفَ بينَه وبينَ قرْنه ضربتَيْن فأثْخَن[1] كلٌّ واحد منهُما صاحبَه، ثمَّ كَرَّ عليٌّ وحمزةُ على عُتبةَ فقتلاهُ، واحْتملا عُبَيْدةَ، وقدْ قطعَتْ رجْلُه إلى خارج الصفوف ـ واستُشهدَ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ متأثِّرًا بجُرحه بعدَ أربعة أو خمسة أيام من وَقْعة بدرٍ، حينَما كانَ المسلمونُ في طريقهم إلى المدينة[2]، وهوَ أولُ شهداءِ بدرٍ.

(١) بمعنى أصابه بالجروح العميقة.

(٢) انظر (الرحيق المختوم) ص ١٩٦، سيرة ابن هشام ٢/ ٥٢٤.

الهُجومُ الشَّامل

استشاطَ المشركونَ غضبًا لقتلاهُم فقامُوا بهجوم شامل، وكَرُّوا علَى المسلمينَ كرَّةَ رجلٍ واحد، وثبت لهُمُ المسلمونَ، وحَمِيَ وطيسُ المعركة.

ورسولُ الله يدعُو في عَرِيشه قائلاً:

«اللهمَّ أنجزْ لي مَا وعدتَني، اللهمَّ آتني مَا وعدتَني، اللّهُمَّ إنْ تهلكْ هذه العصابةُ منْ أهلِ الإسلامِ لا تُعْبدُ في الأرضِ».

فما زالَ يهتفُ بربِّه مادّا يدَيْه مستقبلاً القبلةَ حتَّى سقطَ رداؤُه عن مَنكبَيْه، فأتاهُ أبو بكر ـ رضيَ اللهُ عنه ـ فأخذَ رداءَهُ فألقَاهُ على مَنكبيه، ثمَّ التزمَهُ من ورائه وقالَ:

ـ يا نبيَّ الله، بعضَ مُناشدتك ربَّكَ؛ فإنَّه سينجزُ لكَ ما وعَدَك.

فأنزلَ اللهُ عزَ وجلَّ:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[1].

---

(١) الأنفال: ٩.

فقالَ رسولُ الله ﷺ :

ـ أبشرْ يا أبا بكْرٍ ؛ أتاكَ نصرُ الله .

وأخبرَهُ بنزول الملائكة إلى صفوفِ المسلمينَ في المعركة . .

وخرَجَ رسولُ الله من باب العريش، وهو يقولُ: ﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ ، ثمَّ أخذَ حفنةً من الحَصْباء فاستقبَلَ بهَا قريشًا وقالَ: شاهَت الوجوهُ، ورمَى بهَا في وجُوههم، فمَا من المشركينَ من أحد إلا أصابَ عينَه ومنخَرَيْه من تلكَ القبضة، وفي ذلكَ أنزلَ اللهُ قولَه تعالَى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ (١) .

وانطلَقَ المسلمونَ كالسيلِ يواجهُونَ المشركينَ وقدْ زادتْهم كلماتُ رسول الله ﷺ حماسةً علَى حماستهم، وخصوصًا بعدَ أنْ علمُوا بتأييدِ الله لهُم بالملائكة، حتَّى يتمَّ عليهِم النصرُ.

وبدأتْ فلولُ المشركينَ تتراجعُ أمامَ تقدُّمِ المسلمينَ، وكانَ أبو جهل يحرِّضُ المشركينَ على القتال في محاولة للصّمود في وجه هذا السَّيْل .

(١) الأنفال : ١٧ .

من مواقفِ البطولةِ في المعركةِ

رَكْضاً إلى اللهِ بغيرِ زاد

كانَ رسولُ الله ﷺ يحرِّضُ المسلمينَ على القتالِ، ويبشِّرُهم بجناتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ، قائلاً لهم:

«والذي نفْسُ محمد بيده لا يقاتلُهم اليومَ رجلٌ فيقتَلُ صابراً محتسبًا مقبلاً غيرَ مُدْبِرٍ إلا أدخلَه اللهُ الجنةَ، ومَنْ قتلَ قتيلاً فلهُ سَلَبُه».

وقالَ: قُومُوا إلَى جنة عَرْضُها السمواتُ والأرضُ.

فلمَّا سمعَ بذلكَ عُميرُ بنُ الحمام قالَ: يا رسولَ اللهِ، جنةٌ عرضُها السمواتُ والأرضُ؟!

فقالَ: نعمْ.

فقال عُميرٌ: بَخٍ بَخٍ[1].

فقالَ لهُ الرسولُ ﷺ: مَا يحملُكَ على قولِ بَخٍ بَخٍ؟

---

(١) وهي كلمة استحسان ورضا وحب.

فقالَ: لا والله يا رسولَ الله إلا رجاءَ أنْ أكونَ من أهلِها.

فقالَ رسولُ الله: فإنَّكَ من أهلها.

وكانَ معَ عُمَيرِ بنِ الحمامِ بعضُ تمرات في يده يأكلُ منهنَّ فقالَ:

ـ لئنْ أنا حَييتُ حتى آكلَ تمراتي هذه إنَّها لحياةٌ طويلةٌ.

فرمَى بما بَقيَ معهُ، ثمَّ قاتلَ وهوَ يقولُ:

ركْضًا إلى الله بغير زاد ... إلا التُّقَى وعمل المعاد
والصَّبر في اللهِ عَلى الجهادَ ... وكلُّ زادٍ عُرضة النَّفادِ
غيرَ التُّقَى والبرِّ والرَّشادِ

وما زال يقاتلُ حتَّى قُتلَ شهيدًا، رضيَ اللهُ عنهُ.

مَصْرَعُ أبِي جهلٍ:

كانَ المشركونُ في أثناء المعركة يحيطونَ بأبي جهل منْ كلِّ جانبٍ وهمْ يقولونَ: أبو الحكَمِ لا يُخْلَصُ إليه.

وسمعَ ذلكَ معاذُ بن عمرو بن الجموح وقدْ صمَّمَ على قتل رأس الكفر أبي جهل فترصَّدَ لهُ حتى أمكنَه اللهُ منهُ فضربَهُ ضربةً قطعتْ قدمَ

أبي جهل من ساقه، وأسرعَ عِكرِمةُ[1] بنُ أبي جهلٍ فضربَ معاذاً ضربةً قطَعَ بهَا ذراعَه.

وسارعَ معوِّذُ بنُ عَفْراءَ، فضربَ أبا جهلٍ ضربةً أثبَتَتْه علَى الأرض فلمْ يتحرَّكْ، وما يزالُ به رَمَقٌ. . فمرَّ عبدُ اللهِ بنُ مسعود فوضَعَ رجلَهُ علَى عُنُقه، ثمَّ قالَ لَه:

ـ هلْ أخزاكَ اللهُ يا عدوَّ الله؟

فقالَ أبو جهل: وبماذَا أخزاني؟! فلنْ أبعدَ أن أكونَ رجلاً قتلَهُ قومُه. أخبرني لمنِ الدائرةُ اليومَ؟

فقالَ عبدُ الله: للَّه ورسوله.

فقالَ أبو جهل وهوَ ينظرُ لعبد الله بن مسعود وقدْ وضعَ قدمَه على صدرِه: لقد ارتقيتَ مُرْتَقًى صعبًا يا رُوَيْعِيَ الغنمِ.

واحْتَزَّ عبدُ الله رأسَ أبِي جهلٍ بسيفِه وانطلقَ بهَا إلى رسولِ الله ﷺ وهو يقولُ:

---

(١) أسلم عكرمة بعد ذلك وحسُن إسلامه.

ـ يا رسولَ الله، هذه رأسُ عدوِّ الله أبي جهلٍ.

فقالَ رسول الله ﷺ:

ـ اللهُ أكبرُ، الحمدُ لله الذي صدقَ وعدَه ونصرَ عبدَه وهزمَ الأحزابَ وحدَه.

ثمَّ قالَ لعبد الله: انطلق أرنيه.

فلمَّا رآهُ الرسولُ ﷺ أشارَ عليه قائلا: هذَا فِرْعَوْنُ هذه الأمة.

رجوعُ المسلمينَ إلى المدينةِ

تحقَّق نصرُ الله للمسلمينَ، وفرَّ من بقيَ من المشركينَ إلى مكةَ، وقدْ نالُوا هزيمةً ساحقةً، فقُتل منهم سبعونَ، وأسرَ سبعونَ مثلهُم. وقد استُشهدَ منَ المسلمينَ في هذه المعركةِ أربعةَ عشرَ رجلاً، ستةٌ من المهاجرينَ وثمانيةٌ من الأنصارِ.

ووصلَ نبأ النصر إلَى المدينة المنورة فتهلَّلَ المسلمون هناكَ وفرحُوا وخابَ كيدُ المنافقينَ واليهود، الذينَ كانوا يبثُّونَ الشائعات والأراجيفَ بأنَّ المسلمينَ هُزموا. وخرجَ من بقيَ في المدينة يستقبلونَ الرسولَ ﷺ وصحابتَه بالنصرِ المبينِ.

واستشارَ رسولُ الله ﷺ صحابتَه في أسرَى بدرٍ منَ المشركينَ، فقالَ لأبي بكرٍ وعمرَ:

ـ ما ترونَ في هؤلاءِ الأسارَى ؟

فقالَ أبو بكر:

ـ يا نبيَّ الله، همْ بنو العمِّ والعَشيرة أرَى أنْ تأخذَ منهم فديةً فتكون لنَا قوةٌ علَى الكفارِ؛ فعَسى اللهُ أنَ يهديَهم للإسلامِ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ لعمرَ: ما ترَى يا ابنَ الخطابِ؟

فقالَ عمرُ رضيَ الله عنه:

ـ لا والله يا رسولَ الله، ما أرَى الذي رأى أبو بكرٍ، ولكنِّي أرَى أن تمكِّننا فنضربَ أعناقَهم، فتمكِّنَ عليًّا من عقيلٍ فيضربُ عنقه وتمكِّنَني من فلان ـ قريب لعمرَ ـ فأضربُ عنقَه؛ فإنَّ هؤلاءِ أئمةُ الكفر وصَناديدُه.

فمالَ النبيُّ ﷺ إلى رأي أبي بكرٍ وأخذَ الفداءَ.

وفي اليوم التالي مرَّ عمرُ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ علَى رسولِ الله ﷺ وأبي بكرٍ وهمَا يبكيانِ، فقالَ:

يا رسولَ الله، أخبرْني من أي شيء تبكي أنتَ وصاحبُك فإن وجدتُ بكاءً بكيتُ وإن لم أجدْ بكاءً تباكيتُ لبكائكُما؟

فقالَ رسولُ الله ﷺ:

ـ أبكي للذي عرض على أصحابكَ منْ أخذِهم الفداءَ، لقدْ عُرضَ عليَّ عذابُهم أدنَى من هذه الشجرة.

وقد نزلَ القرآنُ يؤيِّدُ رأيَ عمرَ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ في قولِ الله تعالَى :

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1] .

والكتابُ الذي سبقَ من الله هوَ قولُه تعالَى :

﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾[2] .

ففيه الإذنُ بأخذ الفدية منَ الأسارَى ولذلكَ لم يعذبُوا .

ومَنَّ رسولُ الله ﷺ علَى عَدَد منَ الأسارَى فأطلقَهم بغير فداءٍ .

---

(١) الأنفال ٦٧ - ٦٨ .

(٢) محمد : ٤ .

مِنْ دروسِ غزوةِ بدرٍ الكبرى

وقدْ كانَ لهذه الغزوة التي تُعَدُّ أولَ معركةٍ فاصلةٍ في تاريخِ الإسلامِ دروسٌ وعبرٌ، منهَا:

- أنَّ الإيمانَ الصادقَ يصنعُ الرجالَ الشجعانَ الذينَ يضحُّونَ في سبيلِ اللهِ ومِنْ أجلِ نصرةِ دينهم وعقيدتهم.

- أن النصر من عند الله العزيز الحكيم، فلا يَرْكَنْ أحدٌ إلى قوَّته فحَسْبُ ولا إلى عُدَّته، بل لا بدَّ معَ إعدادِ العُدَّة من توثيقِ الصِّلةِ بالله والدعاء والاستغاثة به.

- ومنْ دروس هذه الغزوة جانبُ المثالية الذي اتَّسَمت به، ومن ذلكَ حُسنُ معاملة الأسرَى، وهي سمَةٌ تعلَّمَها المسلمونَ من قرآنهم الذي يقولُ: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[1].

(١) سورة الإنسان: ٨.

وقدْ قالَ رسولُ الله ﷺ لأصحابه بعدَ أن وزَّعَ بينَهم الأسرَى وعندَ رجوعِهم إلى المدينة: استوصُوا بهِم خيراً.

وقال أبو عزيز بن عمير - وكانَ منَ أولئكَ الأسرَى.

«كنتُ في رهط من الأنصار حينَ أقبلُوا بي من بدر، فكانُوا إذا قدَّموا غَداءَهم أو عَشاءَهم خصُّوني بالخبز وأكلُوا التمرَ، لوصية رسول الله ﷺ إياهُم بنَا، فما تقعُ في يد رجلٍ منهُم كسرةُ خبزٍ إلا نَفَحَني[1] بهَا فأستحي فأردُّها علَى أحدِهم فيردُّها علَيَّ ما يمسُّها».

- ومنْ سماحة الإسلامِ التي هيَ إحدَى العبَر من هذه الغزوة: منعُ التمثيلِ بالقتلَى، ومنعُ تعذيب الجرحَى، بلْ إنَّ رسولَ الله ﷺ أمرَ في غزوة بدر بدفن جثث القتلَى من المشركينَ في القليبِ، وهوَ بئرٌ جافٌ ودفنَهم فيه.

- ومنْ أبرزِ دروس هذه الغزوة (الشورَى) وما لها من أثر في نجاحِ القصدِ والوصولِ إلَى الغاية. وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الشورَى من سماتِ الإيمان، ولذَا ذكرَهَا اللهُ تعالَى بينَ الصلاةِ والإنفاقِ

(١) أعطاني أياها.

لأهميَّتها، فقالَ سبحانَه: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1].

وإذَا استشارَ الإنسانُ أحدًا منَ الناسِ فعلَى المستشارِ أنْ يكونَ أمينًا في مشورتِه صادقًا في نصيحتِه.

وعلَى القيادة أنْ تستفيدَ من خبرة المتخصِّصين وأنْ تأخذَ بمشورتهم كَمَا صنعَ رسولُ الله ﷺ عندمَا نزلَ علَى رأيِ الحُباب وغيَّرَ موقعَ الجيش، وقدْ كَرَّمَ الرسولُ ﷺ الحبابَ صاحبَ المشورةِ وقدَّرَ رأيَهُ قائلاً لهُ: «أشرتَ بالرأيِ».

(١) الشورى: ٣٨.

تـــذكـــر

مـوجزُ الأحداثِ في الفتـرةِ

مـن ١ ـ ٢ هـ

* في العام الأوَّل للهجرة هاجرَ النبيُّ ﷺ من مكةَ إلى المدينة ومعهُ أبو بكر الصِّدِّيقُ، وقدْ وصَلا إلى المدينةِ في ١٢ من ربيعِ الأولِ منْ هذَا العام.

* آخَى النبيُّ ﷺ بينَ المهاجرينَ والأنصارِ ووضعَ دستوراً أو عهداً بينَ أهلِ المدينة وبينَ المسلمينَ واليهود.

* تزوَّج رسولُ الله بعائشةَ بنتَ أبي بكرٍ وكانَ عقَدَ عليهَا قبلَ الهجرةِ بمكةَ.

* وفي رمضانَ سَنة ١ هـ عقدَ رسولُ الله لواءَ سريةٍ لحمزةَ ابن عبدِ المطلبِ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ لاعتراضِ قوافلِ قريشٍ.

* وفي ذي القعدة سنة ١ هـ بعثَ سريةً أخرَى للغَرَض نَفْسه بقيادة عبيدةَ بنِ الحارث بن عبد المطلب، وسريةً أخرَى بقيادة سعدِ ابن أبِي وقاصٍ، رضيَ اللهُ عنهُما.

* وفي ١٥ من شعبانَ سَنة ٢ هـ تمَّ تحويلُ القبلةِ من بيتِ المقدسِ إلى الكعبةِ، وفُرِضَ صومُ رمضانَ . .

* وفي الشهرِ نفسهِ تزوَّج عليُّ بنُ أبي طالبٍ فاطمةَ بنتَ الرسولِ ﷺ .

* وفي ١٧ من رمضانَ كانتْ غزوة بدرٍ الكُبرَى أولَ انتصارٍ للمسلمينَ علَى أهلِ الشركِ .

* وفي أواخر العام الثاني للهجرة غَزا رسولُ الله ﷺ يهودَ بني قَيْنُقَاع بعدَ نقضهم العهدَ وخيانتهم للمسلمينَ، وقد حاصرَهم رسولُ الله ﷺ فاستسلمُوا لهُ فأمرَ بإخراجِهم من المدينةِ فخرجُوا إلى الشامِ .

المحتويات

الموضوع	الصفحة
- طلائع الجهاد الإسلامي	٧
- سرايا وغزوات قبل بدر:	٩
- سرية حمزة	٩
- سرية عبيدة بن الحارث	١٠
- سرية سعد بن أبي وقاص	١٠
- غزوة الأبواء	١٠
- غزوة بواط	١١
- غزوة العشيرة	١١
- غزوة بدر الأولى	١٢
- غزوة بدر الكبرى:	١٣
- أسباب الغزوة	١٣
- وأمرهم شورى بينهم	١٤
- نحن من ماء	١٧
- استطلاع أخبار العدو	١٩

المحتويات

الموضوع	الصفحة
- الفـريقـان	٢٠
- نزول المسلمين في بدر	٢١
- يوم التقى الجمعان	٢٥
- أول مبارزة وأول شهيد	٢٦
- الهجوم الشامل	٢٩
- من مواقف البطولة في المعركة:	٣١
- ركضا إلى الله بغير زاد	٣١
- مصرع أبي جهل	٣٢
- رجوع المسلمين إلى المدينة	٣٥
- من دروس غزوة بدر الكبرى	٣٨
- موجز الأحداث	٤١